**لماذا صمت عنها المؤرخون الغربيون ؟**

**معركة عين جالوت**

**تزخر كتب التاريخ بذكر مئات ان لم تكن الوف المعارك الحربية بعضها قليل الاثر والنتائج وبعضها الاخر عظيم الاثر والنتائج غير ان هناك عددا من الوقائع والمعارك الحربية يطلق عليها بأنها معارك فاصلة وهى يطلق عليها بأنها معارك فاصلة وهى تلك الطائفة من المعارك التي تظهر وتدوم نتائجها على الارض وتكتسب صفة الدوام وعلى سبيل المثال حروب الردة في عهد الخليفة الراشد ابى بكر الصديق فهي حروب لا تقاس بحجم الجيوش المتحاربة وانما تقاس بنتائجها فقد كان من نتائجها انه لم تمض سنة واحدة حتى كانت الجزيرة العربية تدين بالطاعة والولاء للإسلام ولأبي بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقس على هذه معارك الفتوحات الاسلامية التي وطدت اركان الاسلام شرقا وغربا**

**وعلى الرغم من فيض المؤلفات في التاريخ الحربى لمؤرخي الغرب الذين افاضوا في مؤلفاتهم في ذكر عدد غير قليل من المعارك التي وصفوها بأنها معارك فاصلة وعلى الرغم من عدم اتفاق المؤرخين على تعريف المعركة الفاصلة الا انها على حد قول البعض مسألة ذاتية في اغلب الاحوال فإن هناك معركة صمت عنها مؤرخوا الغرب وبعضهم لم يذكرها الا ذكر العابر المار على الرغم من انها إنصافا للحقيقة من اكبر المعارك الفاصلة في التاريخ وهى تحديدا " معركة عين جالوت " ويقينا ان من يقرأ وقائع المعركة ويحلل نتائجها ويتأمل في تداعيتها البعيدة والقريبة سوف يدرك السبب الذى حدا مؤرخي الغرب الى الصمت المريب عنها وقد جانب الصواب مؤلف " سبع معارك فاصلة في العصور الوسطى " إذ لم يشر اليها من قريب او من بعيد وان كان ذكر موقعة حطين لا لسبب سوى تأثيرها المباشر على اوروبا حيث انهت الوجود الأوروبي الصليبي في بيت المقدس حيث يقول " كانت معركة حطين مفجعة وعاجلة ودائمة فإن كثيرا من القلاع استسلمت دون مقاومة كما سقطت عكا وعسقلان وفتحت بيت المقدس ابوابها لصلاح الدين**

**المغول والحضارة الاسلامية**

**لسنا نعرف ان حضارة من الحضارات في التاريخ كله قد عانت من التدمير الفجائي ما عنته الحضارة الاسلامية على يد المغول هذا ما قاله مؤرخ الحضارات الشهير وول ديورانت في مؤلفه الموسوعي قصة الحضارة بعد ان سرد جانبا من بعض ما خلق بمدائن الدولة العباسية على ايدى المغول وكان مما قاله في هذا الشأن " وسار جيش مغولي ثالث الى " بخاري " وحرقها عن اخرها وسبى الافا من نسائها وذبح ثلاثين الفا من رجالها واستسلمت له " سمرقند " " وبلخ " ولكنهما لم تنجوا من النهب والمذابح العامة وزحف ابن جنكيز خان بجيش اخترق به خراسان وخرب كل ما مر به من المدن وكان المغول يضعون الاسرى في مقدمة جيوشهم ويخبرونهم بين قتال مواطنيهم من امامهم او قتلهم من خلفهم وفتحت " مرو " خيانة وأحرقت عن اخرها ودمرت باللهب مكتبتها التي كانت مفخرة الاسلام**

**وفى " نيسابور " قتل كل من فيها من الرجال والنساء والاطفال وكومت رؤوس القتلى في كومة مروعة وخربت مدينة الري الحديثة ومساحجها البالغ عددها ثلاثة ألاف**

**ودخل هولاكو وجنوده بغداد واعملوا فيها السلب والتهب والقتل اربعين يوما كاملا ونهبت او دمرت في اسبوع واحد المكاتب أي المكتبات والكنوز التي انفقت في جمعها قرون طوال وذهبت مئات الالاف من المجلدات طعمة للنيران و لم يكتف المغول بهذا إذ دمروا مكتبة بغداد وكانت اعظم مكتبة في العالم والقوا بألاف المخطوطات في نهر دجلة فاسودت مياهه في مدادها وكانت جسرا يعبر عليه المشاة وهذا الدمار الهائل والشامل الذى احاق بمدن الدولة العباسية مدينة إثر أخرى وصولا الى العاصمة بغداد يقول عنه ابن كثير في شيء من التفصيل في كتابه البداية والنهاية واصفا سقوط بغداد والخلافة العباسية بأكملها استهلت هذه السنة يقصد سنة 656 هجرية – وجنود التتار قد نازلت بغداد وكان قدوم هولاكو بجنوده كلها في نحو مئتي الف مقاتل فقتلوا جميع من قدروا عليه من الرجال والنساء والولدان والشبان والمشايخ والكهول ودخل كثير من الناس في الابار واماكن الحشوش وقنى الوسخ وكمنوا كذلك اياما لا يظهرون وكان الجماعة من الناس يجتمعون الى الخانات ويغلقون عليهم الابواب فتفتحها التتار اما بالكسر واما بالنار ثم يدخلون عليهم فيهربون منهم الى أعالي الامكنة فيقتلونهم حتى تجرى الميازيب من الدماء في الازقة فإنا لله وإنا إليه راجعون**

**وقد اختلف الناس في كمية من قتل ببغداد من المسلمين في هذه الوقعة فقيل ثمانمائة الف وقيل الف الف وثمانمائة وقيل بلغ القتلى الف الف نفس فإنا لله وإنا إليه راجعون ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وكان دخولهم الى بغداد في اواخر المحرم وما زال السيف يقتل اهلها اربعين صباحا وكان قتل الخليفة المستعصم يوم الاربعاء رابع عشر من صفر ولما انقضت الاربعون يوما بقيت بغداد خاوية على عروشها ليس بها احد الا الشاذ من الناس والقتلى في الطرقات كأنها التلول وقد سقط عليهم المطر فتغيرت صورهم وانتنت من جيفهم البلد وتغير الهواء فحصل بسببه الوباء الشديد حتى تعدى وسرى في الهواء الى بلاد الشام فمات خلق كثير من تغير الجو وفساد الريح فاجتمع على الناس الغلاء والوباء والفناء والطعن والطاعون**

**ولما نودى ببغداد بالأمان خرج من تحت الارض من كان بالمطامير والقنى والمقابر كأنهم الموتى وقد انكر بعضهم بعضا فلا يعرف الوالد ولده ولا اخ اخاه واخذهم الوباء الشديد فتفانوا وتلاحقوا بمن سبقهم من القتلى**

**ويبدوا ان رقم المليونين من القتلى هو الاقرب للحقيقة فقد امر هولاكو بعد القتلى كما ورد ذلك في السلوك للمقريزي حيث يقول امركم هولاكو بعد القتلى فبلغوا نحو الألفي الف قتيل**

**ومن الواضح لمن يقرا صفحات التاريخ انه سيجدها ليست كغيرها من الحروب بل كان المغول يتبعون ما نسميه الان في ادبيات الحروب سياسة الارض المحروقة غير اننا لا نجاوز الحقيقة ان قلنا ان ما حدث لبغداد وما قبلها من مدن مرو – وسمرقند وبخاري وغيرها على أيدى المغول انها اول حرب إبادة جماعية في التاريخ**

**وإذ تركنا بغداد وماحل بها وذهبنا الى مصر لتجد ان الجيوش المصرية قد تأهبت واستعدت ليوم كريهة ونزال حرب فقد هزمت الجيوش المصرية بقيادة قطز وبيبرس وهما من امراء المماليك جيوش المغول وطاردوها حتى بلاد الشام كما هو معروف ومسطر في كتب التاريخ وذلك في معركة من اجل واعظم معارك التاريخ وهى معركة عين جالوت التي وقعت ( 1260 م )**

**الاسباب الحقيقية لصمت مؤرخي الغرب**

**واذا كنا لسنا في معرض ذكر المعركة ووقائعها فهذا امر قد افاض فيه من افاض من مؤرخي العرب قديما ممن عاصروا تلك المعركة او حديثا من الباحثين في التاريخ غير اننا سوف نورد عددا من اراء مؤرخي الغرب ومستشرقيه سواء من مروا على ذكرها مرورا عابرا او من ذكروا في اشارة لا تخفى على احد نتائجها البعيدة**

**فمن المستشرقين الذين مروا على ذكر معركة عين جالوت مرورا عابرا المستشرق الألماني الشهير كارل بروكلمن حيث يقول في كتابه تاريخ الشعوب الاسلامية وكان الاعصار المغولي يجتاح الشرق الادنى جميعا ويهدد مصر بالخراب الذى ما بعده وكان قطز في قيادة طليعة الجيوش التي وجهها الى فلسطين فهزم المغول عند عين جالوت 1259 م صدت سيلهم الطامي لأول مرة وحولت مدهم الى جزر وهكذا يجب ان نذكر فضله العظيم على مصر لما جنبها ويلات الغزو المغولي الذى عطل سير التطور الثقافي في دنيا الاسلام كلها ما خلا الديار المصرية بروكلمن لا يرى من نتائج عين جالوت سوى تجنيب مصر ويلات الغزو المغولي دون ان يعمل فكرة في ابعد من مصر ولعله كان صادقا في قوله استطاع جينكزخان ان يجتاح بجحافل المغول بلدان التمدن القديم في وحشية مدمرة متعطشة الى الدم عرف بها هذا العرق وكانت له طابعا**

**ومن اثر هذه المعركة وعن انتصار الجيوش المصرية يقول ديورانت فيما خفى على الكثيرين ادراك مغزاه ولعله احد الاسباب التي حدث بمؤرخي الغرب على التعتيم – ان جاز التعتيم – على هذه المعركة لان الحديث عنها سوف يكشف مدى الدين الهائل للمسلمين على اوروبا وزفت البشرى الى كل مكان في بلاد الاسلام وفى اوروبا نفسها وابتهجت نفوس الروع ذلك ان معركة حاسمة دارت رحالها بالقرب من دمشق وكانت عاقبتها ان هزم المغول ونجت بلاد الشام ولعلها ايضا احتفظت للمسيحية بأوروبا ولعل المعاني التي يمكن لنا ان نستخدمها من رأى ويلز وديورانت ما نجمله في النقاط التالية**

**1 – ان العالم الإسلامي كان درعا بشريا امام هجمات المغول فحال بينهم وبين اوروبا عندما تلقى وحده الضربات تلو الضربات في حروب في اقرب ما تكون الى حروب الابادة ولو كان المؤرخون الغربيين ذرة واحدة من انصاف لا لاعترفوا بفضل المسلمين ودورهم في انقاذ الحضارة الغربية من المغول ولكنهم لم يفعلوا فلو قدر لجيوش المغول ان تنتصر على الجيوش المصرية لا نفتح الطريق امامها الى العواصم الاوروبية ولحل بها ما حل بها ما حل على بغداد ومدن الخلافة العباسية من الخراب والدمار والفناء لا سيما ان اوروبا ذات خصب وزروع ومياه وانهار وليست كمعظم بلدان العالم الإسلامي الواقع جغرافيا في المنطقة المدارية وهى منطقة يغلب عليها الجفاف ولا صبحت المسيحية في اوروبا في خطر ما بعده خطر ولا سيما ان هولاكو كان منتشيا بانتصاراته وكان هذا قبل عين جالوت حيث طلب خضوع جميع ملوك واباطرة اوروبا بالإضافة الى البابا**

**2 – ان عدم الحديث عن عين جالوت وصمت مؤرخي الغرب حيالها باعتبارها معركة ضمن الوف المعارك التي تماثلها احيانا او تفوقها في التأثير احيانا اخرى مرجعه في الغالب الاعم ان لم يرق الى حد اليقين والرجحان انهم سوف يكتشفون ان اوروبا لولا هذه المعركة لفقدت المسيحية مكانتها ولا صبحت اوروبا في الغالب تدين بالإسلام على الرغم من ان باباوات اوروبا حاولوا غير مرة تنصير المغول فقد حاول البابا انوست الرابع 1143 - 1254 م ذلك فارسل جماعة من الرهبان للشرق الأسيوي من اهدافها دعوة حكام المغول ورعاياهم لا عتناق المسيحية كما حاول لويس التاسع اثناء فترة وجوده بالشرق العربي ان ينجح فيما فشلت فيه البابوية ففي نهاية عام 1248م ارسل سفيره الراهب اندريه لونجيجمو لقادة المغول بغرض اجتذاب المغول الى الملة المسيحية ولكن المغول سخروا من هذه السفارة ولم يستجيبوا لدعوة الملك الفرنسي باعتناق المسيحية بل ارسلوا له خطابا للحضور لتقديم فروض الطاعة والولاء لهم ومن ثم ندم لويس التاسع اشد الندم على ارساله رسلا لهم ومن حسن الحظ ان التاريخ قد حفظ لنا نص رسالة خاقان المغول الى البابا في نصها الفارسي وكذلك نصها اللاتيني الذى جاء على النحو التالي " عندما يصلك امرنا فإنك ايها البابا تحضر جميع الامراء – يقصد ملوك الغرب الأوروبي بصفة شخصية وحينئذ فإنني سوف ابلغك جميع اوامرنا وعلى الرغم من هذا كله وكما يقول الدكتور محمود سعيد عمران في كتابه " المغول واوروبا " غير ان الاسلام بدا ينتشر بين عامة المغول منذ مجيئهم الى وسط اسيا الاسلامية حتى بعض قادتهم بل لقد اصبح الديانة الرسمية للدولة المغولية في فارس بل وساهم المغول بطرق عديدة في انتشار الاسلام في مناطق لم تعهد الاسلام من قبل**

**نخلص من هذا وذاك الى ان اوروبا كان يمكن لها ان يحل الاسلام بها محل المسيحية وهذا معنى ما قاله ديورانت باحتفاظ اوروبا بمسيحيتها وهو ما تجنبه مؤرخوا الغرب حتى لا يجدوا انفسهم حيال فضل واضح وساطع ولا سبيل الى إنكاره للمسلمين**

**2 – ان المؤرخين الغربيين الذين يتهمون المسلمين زورا وبطلانا بالانحطاط وانهم ليسوا اهلا للمدنية المتحضرة مما نرى صداه الان في ادبيات الخطاب الإعلامي الغربي قد نسوا او تناسوا ان اكبر نكبة حلت بالحضارة من الحضارات هي نكبة الحضارة العربية الاسلامية من جراء غزو المغول فالمغول دمروا العمارة والعمران وابادوا الحياة والاحياء واهلكوا البلاد والعباد وفى هذا يقول ديورانت فلم يأتوا – يقصد المغول – ليفتحوا ويقيموا بل دأبوا ليقتلوا وينهبوا ولما ارتد تيار فتوحهم الدموي خلف وراءه اقتصادا مضطربا وقنوات للري مطمورة ومدارس ودورا للكتب رمادا تذروه الرياح لقد كان هذا كله هو الذى بدل اسيا الغربية – يقصد العالم الإسلامي – من زعامتها على العالم الإسلامي – من زعامتها على العلم فقرا مدقعا وخرابا شاملا واحل محل مئات المدن العامرة المثقفة في الشام وارض الجزيرة وفارس والتركستان ما تعانيه في الوقت الحاضر من فقر وركود**

**واذا كان لنا من تساؤل فإننا سوف نسأل هؤلاء المؤرخين كيف سيكون الامر اذا قدر للتتار الزحف على اوروبا عن طريق تركيا مثلا وان يفعلوا بها مع ما فعلوه في العالم الإسلامي ؟ هل سيكون حكمهم على العالم الإسلامي هو نغس حكمهم الان**

**4 – يعلق المستشرق " الفرد جيوم " تعليقا يشير فيه الى مدى الاستفادة الكبيرة التي جنتها اوروبا من جراء انتصار الجيوش المصرية على المغول وذلك بقوله " ولو ان العرب كانوا برابرة كالمغول الذين اطفؤوا جذوة العلم إطفاء لم ينبعث من بعدهم البتة بسبب ضياع دور الكتب وفقدان الاثار الادبية لو انهم كانوا كذلك لتأخر عصر الاحياء عن موعده في اوروبا اكثر من ( 17 ) ولعل هذا القول يمثل اعترافا صريحا بأن عصر النهضة الاوروبية قد اتكأ على الحضارة العربية الاسلامية نخلص من هذا القول إنه لولا المسلمين وصدهم للتتار لتأخرت الحضارة الانسانية قرونا طوالا ولعلنا لا نجاوز الصواب ان قلنا ان عصر النهضة الاوروبية التي يفاخر بها الغرب ويدل بها على العالم بها الغرب ويدل بها على العالم الإسلامي هو من نتائج هذه المعركة فلولا دماء الملايين من المسلمين ولولا ذلك الدمار الذى الحقه التتار بالعالم الإسلامي لتقدم المسلمون اشواطا بعيدة في مجال العلوم ولتأخر بروز عصر النهضة حتى يلحق بما حققه المسلمون من علم ومن الغريب ان هناك شعوبا وقوميات تطالب دولا بعينها بالاعتذار عما ارتكبته تلك الدول في تلك الشعوب والقوميات من مجازر ومذابح حدثت في فترات مختلفة من التاريخ فهل كثير على المسلمين ان يطالبوا الدول الاوروبية بالاعتراف بالفضل الذى اسداه المسلمون لأوروبا من جراء حمايتهم لتلك الدول من غول المغول وحشيتهم ؟ ولكن الاغرب كل الغرابة في مسار التاريخ الإنساني كله ان يلقى العرب والمسلمون وهم الذين حموا اوروبا من غزو المغول لبلادهم من اوروبا جزاء سنمار ومن العجب في الامر ان معركة عين جالوت التي انقذت اوروبا من جحافل المغول جاءت بعد الحروب الصليبية التي شنها الغرب على العالم الإسلامي والتي تعد من اطول الحروب في التاريخ فأي مقارنة تلك بين رجل ( اوروبا ) يشن على آخر ( العرب ) حربا شعواء بينما هذا الآخر ( أي: العرب ) هو المنقذ له من دمار محقق ليس هذا فحسب بل تلاها بعد حين الاستعمار الأوروبي للبلاد العربية فأعجب به من جزاء ان بعض المسيء يد المحسن الذى احسن اليه ونجاه من خطر عظيم**

**ولعلنا نضيف فنذكر اننا لا نريد اعترافا بفضل ولا مساعدة من هذه الدولة او تلك رغم احقية المسلمين فيهما وفق المعطيات السياسية في العصر الحديث ولكننا نريد الانصاف واحقاق الحق ووضع المسلمين في موضعهم الصحيح في تاريخ الانسانية وليس كما هو وارد في كتابات المستشرقين ومؤرخي الغرب من تلك الصورة المشوهة عن الاسلام والمسلمين**